الفصل الثالث العشرون

العودة

باتت الراحة بالنسبة لها تسترق أوقات قصيرة من يومها الطويل المزدحم بالمشاغل؛ دوام بالجامعة، زيارة أخيها والاطمئنان عليه، والاهتمام بالبيت عند غياب أمها، ثم مساعدتها بعد مغادرته للمستشفى خصوصاُ عند قدوم بعض الزوار من الجيران ورفاقه بالعمل لأجله، بالإضافة إلى دراستها وتعليم الصغيرة المشاكسة رُبا، كان عليها أن تواصل الليل بالنهار لتوفق بين كل مهامها، لذا فقد أعلنت الكفاح شعاراً لها.

موجة الامتحانات الشهرية قد بدأت وستليها مباشرة الامتحانات الفصلية، السنة الدراسية تقترب من منتصف مشوارها، ومعها بدأ يتوجه فكر الطلاب نحوها، ونحو الشهور التي ستتلاحق وستكثف فيها المحاضرات لتعويض ما فاتهم وما حرموا منه بسبب ما كان من الحرب ورجالات العصبة.

وخلال الأسبوعين، ظل طارق يراقبها متوسماً أن يؤثر عملها على دراستها؛ فتتغيب يوم، أو تنتكس في امتحان لها؛ لكنه وجدها على سجيتها تذاكر مع سحر وتناقشها، ظلت صامدة كما عرفها، فاستحوذ الضيق فكره، الأمور ستنقلب ضده وستتغلب عليه ما لم يتدارك الأمر.

وبعد انتهاء المحاضرة الأولى صباح ذلك اليوم وخروج مدرس المادة من القاعة، علت أصوات الطلاب على الفور، وأسرع بعضهم في المغادرة، قالت سحر لضياء وهما تحملان حقيبتيهما وتستعدان الخروج أيضاً:

-الحمد لله بأنه ليس لدينا محاضرة ثانية الآن، سيكون لدينا متسع من الوقت لمراجعة الأمور الصعبة لامتحان بعد الغد.

نهضت ضياء وهي تغمض عينيها للحظة، وتقول في إعياء:

-كنتُ أتمنى أن أفعل ذلك يا سحر؛ لكني لم أنم جيدا ليلة أمس، وظللت ساهرة لمراجعة الجانب العملي، هناك محاضرات كثيرة تحتاج للمراجعة فعلاً، لذا لن أستطيع التركيز معك الآن.

نهضت سحر ثم نزلت برفقتها من المدرج واتجهتا نحو الباب، وقالت:

-لا بأس عزيزتي، يمكننا مراجعتها عصر اليوم.

-تعرفين أن عليَّ تعليم رُبا في هذا الوقت.

-أوه، لقد نسيت، إذن سيكون صباح الغد، علينا انتهاز فرصة الإجازة الخاصة لنا فيه.

وما كادت تكمل عبارتها حتى فوجئتا برُبا تقبل نحوهما مندفعة نحو ضياء في سرور وهي تفرد ذراعيها، أسرعت بدورها تفرد ذراعيها لها وتنحني لتستقبلها بحرارة مثلها وتعانقها، ثم سألتها في دهشة:

-متى أتيتِ يا رُبا؟

أرسلتها ثم ابتسمت لها وهي تقول في سرور وحماس:

-منذ الصباح، لقد طلبتُ من أخي أن يصحبني إليكِ، فأخبرني بأن لديكم محاضرة واحدة وفي وسعي أن ألعب وأذاكر معكِ، فانتظرت بمكتب أستاذته حتى انتهيتن، كانت الرحلة جميلة من المنزل إلى هنا.

تفاجأت ضياء لتصرف طارق، ألم يكن يخشى تصرفات أخته وثرثرتها هنا؟!

بينما عقدت سحر حاجبيها في غضب، وقالت بحدة:

-طارق لا ينوي خيراً لكِ يا ضياء.

التفتت إليها وقالت بحزم:

-لقد قبلت التحدي، وسأكون صامدة حتى النهاية.

سألتها رُبا:

-أي تحدٍ؟

أجابتها وهي تمسح على رأسها في ابتسامة:

-إنه تحدٍ لأجل الحياة.

مالت برأسها في التساؤل، فقالت لها:

-لا تهتمي عزيزتي، هل أحضرتِ أدواتك؟

هزت رأسها واستدارت لتريها حقيبتها المعلقة بظهرها، في تلك اللحظة أقبل طارق إلى القاعة وهو يقول بلهجة شبه آمره:

-لديك وقت فراغ الآن يا ضياء ورُبا تحب أن تعلميها، كما أنها متعلقة بكِ ولم أعرف لذلك سبباً، على أية حال، الساعة الآن هي العاشرة، سآتي لاصطحابها عند الثانية عشرة، أي بعد ساعتين كما هي العادة.

تضايقت في أعماقها للهجته، إلا أنها كتمت انفعالاتها لتهز رأسها موافقة وتضيف:

-كما تريد، وسيكون هذا بديلاً عن عصر اليوم.

-حسناً.

فابتسم لرُبا ثم خرج وهو يتمتم في مكر:

-اليوم، سيتضح كل شيء.

احتقن وجه سحر غضباً وقالت:

-ألم أقل لكِ؟ هل اقتنعتِ الآن؟ ألا زلتِ تريدين الاستمرار في هذا يا ضياء وأن تظلين تحت سطوته؟

-سحر، أخبرتك بأني لن أتراجع وما أفعله هو لأجل أخي ولستُ تحت سطوة أحد، فلا تنزعجي مني أو مما حدث قبل قليل، لنتقابل عصر اليوم وننهي كل شيء، حددي ما تريدين لأجل ذلك، يمكنك المغادرة عزيزتي.

تنفست الصعداء حين يئست من إقناعها رغم ذلك أومأت برأسها إيجاباً، ثم ودعتها واتجهت نحو الباب إلا أنها توقفت عنده لبرهة لتراهما تجلسان على مقاعد بالمدرج الأول

حين خلت القاعة إلا منهن، أخذت ضياء حقيبة رُبا وأخرجت بعض أدواتها، وهي تقول لها:

-هذه القاعة لن تُشغل اليوم، وفي وسعنا البقاء فيها.

هزت رأسها، فابتسمت سحر ابتسامة إشفاق صغيرة، وهي تقول في نفسها:

-أتمنى لك كل التوفيق، وألا يضيع صبركِ لأجل أهلك سدى، وأن تنتصري على ذلك المغرور.

في تلك الأثناء، توجه طارق ورفاقه إلى الصالة الواسعة عند المدخل بمبنى الكلية، سأله محمود في حيرة:

-إلى الآن لم تخبرنا سبب إحضار أختك للكلية يا طارق.

لم يكن يرغب لأحد أن يعرف السبب الحقيقي لذلك، ولا أن يظهر فشله بأي شكل، فرد عليه في لا مبالاة:

-وهل يحتاج الأمر لسبب؟ لدينا وقت فراغ لذا اصطحبتها إلى هنا بدلاً من منزل ضياء، دعها تدرس معها ريثما ننهي تدريباتنا في لعبتنا المفضلة.

قال صبري:

-يبدو لي بأن ضياء بدأت تعتاد تصرفات رُبا، لم يحدث أي تأثير على دراستها حتى الآن، ولم تخبرنا بأي جديد عنها.

احتد طارق وهو يقول:

-لأنه لا شيء لأخبرك به حتى الآن، ثم أن رُبا لا تزال على ثرثرتها ومع ذلك فتلك المزدوجة تتحملها، الأمر لن يستمر طويلاً، إنها صبورة ونحن سنصبر أيضاً لننتظر النتيجة.

رد عليه مهدئاً:

-أنا آسف، فعلا الأمر لا يزال يحتاج لبعض الوقت، فهي فتاة عنيدة.

زفر في ضيق ومضى معهم وهو يقول في نفسه:

-ولن أكون أقل عناداً منها.

ولما وصلوا الصالة، رأوا بها طاولتين لتنس الطاولة حلق حولهما عدداً من الطلاب متفرقين عليهما، وانضموا إليهم، وصاروا يهتفون تارة ويلعبون حين يحين دور أي منهم، تناسى ضيقه واندمج كلياً معهم يتابع حركات اللاعبين ورمياتهم وطرق دفاعهم، ويراقب الكرة في انتباه، ويتخذ دور المعلق أحياناً بنبرة ساخرة مرحة تثير ضحكهم، وأحياناً ينتقد ويوجه، وحين حان دوره باللعب أمسك المضرب بيده واتخذ موقعه وهو يقول في زهو:

-تعلموا مني وإلا ستخسرون دائماً.

ضحكوا لقوله، فقال ناصر وهو يتخذ موقعه عند الطرف الآخر حين صار منافسه:

-سنرى كم ستصمد أيها البطل.

ابتسم لقوله، ثم بدأ اللعب، أخذ يصد الكرة ويردها إليه بمهارة وقوة، دقائق فقط حتى شعر بصداع شديد يداهمه ويدق رأسه كصاعقة مباغتة، أجمده الألم للحظة وشتت تركيزه عن

الكرة القادمة نحوه فمرت قربه، أغمض عينيه وترنح بعدها للوراء وهو يضع يده على رأسه، انتبه زملاؤه لتغيره المفاجئ، فسأله صبري في قلق:

-هل أنت بخير يا طارق؟

رفع جفنيه في تثاقل، وقال في ألم:

-نعم، صداع وحسب، أكملوا من دوني.

ومضى مبتعداً عنهم، وهو يقول متألماً:

-منذ أن بدأت الامتحانات وأنا أعاني منه، هل المذاكرة سبب ذلك؟ لا أستطيع تركها، متى ستنتهي فقط لينتهي أمره؟

أسرع نحو المقصف واشترى قارورة ماء وأخرج دواء مسكناً من جيبه تناوله وشرب بعض الماء، ثم تمدد على الكرسي ليرتاح، أغمض عينيه لدقائق ويخفف ألمه قليلاً، ثم تذكر ضياء ورُبا، أسرع ينظر لساعته فوجدها الحادية عشرة والنصف، ابتسم في مكر، وقال لنفسه:

-الوقت مناسب لأرى ماذا تفعل ضياء مع رُبا.

نهض متحاملاً على نفسه وأسرع يتجه نحو القاعة الكبرى، لقد سنحت فرصته وعليه استغلالها، ولما وصل وجد الباب شبه مفتوح وتناهى إلى سمعه صوتيهما، أسرع يقترب منه بهدوء، ثم اختلس النظر؛ لكنه لم يستطع أن يظل مختبئ طويلاً، فما رآه سبب له ذهولا جعله يفتح عينيه على اتساعهما ويقف متسمراً في مكانه.

أدوات ربا كانت مبعثرة على بعض كراسي المدرج الأول مع بعض أغلفة الشكولاتة (جلاكسي)- إنه النوع المفضل لأخته- بينما كانتا تجلسان على المدرجات بالممر بين المقاعد بالمدرج التاسع، وضياء تحمل دفتراً بيدها، وهي تقول بنبرة مرحة كأنها تمثل دور طفلة:

-والآن، هل عرفتِ من هو الرقم أبو أسنان؟

هزت رُبا رأسها وهي تنهض وتقول في نبرة عتب:

-ثلاثة، أبو أسنان، إنه لا يحب أن ينظفها، يجب أن يعاقب، سيأتي أبوه رقم واحد (أبو عصا) وسيعاقبه.

ابتسمت لها وهي تنهض مثلها وتقول :

-هيا، لنقفز معاً ثلاثة درجات.

فوقفتا على المدرج معاً، ثم رفعت طرف عباءتها وقفزت معها الدرجات السفلى وهما تعدان بصوت واحد عند كل درجة، وحين أتمتا ذلك صفقت لها بحماس، وهي تقول في سرور:

-مذهلة يا رُبا، أعيدي عدها الآن وأنتِ واقفة دون قفز.

أسرعت الصغيرة تعدها وتمنح كل رقمٍ لقبه الخاص كما علمتها، فاحتضنتها ثم أجلستها معها على المدرج وهي تقول:

-حسناً، أي لعبة تحبين أن نلعبها الآن مكافأة لك لأنك أجدتِ حفظ الأرقام الثلاثة؟ تذكري بأننا سنلعب ونحن جالستين فقط، فنحن لسنا بالبيت وأخشى أن يغضب أحد منا هنا.

أخذت تفكر وهي تضع يدها أسفل ذقنها، ثم قالت لها في مرح حين تذكرت غايتها:

-لعبة علاء الدين.

وافقتها وبدأتا على الفور التصفيق والغناء معاً، بينما تمتم طارق لنفسه في إعجاب:

-يا إلهي!! مذهلة مذهلة يا ضياء.

ظل ينظر إليها نظرة إعجاب شديد، كل هذا الاندماج مع أخته المشاكسة لن يكون حباً لها وحسب، رآها بحركاتها وصوتها الجميل ودودة رقيقة، ولحركتها الزائدة تلحق بها وتحول الدرس للعبة؛ بل تشاركها اللعب كمكافأة لها، فتندمج معها وتفهم ما تقول، قال وكأنما أدرك أمراً:

-ما كل هذا الصبر الذي أرآه لتصل لهدفها؟ إنها حقاً تبذل جهدها لأجل أهلها.

هكذا فكر في نفسه ودقات قلبه للمرة الثانية تخفق في إيقاع غريب لم يألفه، تدق جدار صدره بعنف فتجعله يعلو ويهبط في لا انتظام مسببة اضطراب أنفاسه معها، وتدفع الدماء بسرعة إلى عروقه وتثير حرارة حمى لم يشتكِ منها قبل الآن، وعيناها لا تزالان تراقبانها، وأذناه تطربان لصوتها، لم يعد يرى ندبة الحرق ولا تلك الفتاة صاحبة الوجه المشوه التي نفر منها هو ورفاقه، بدت فريدة مميزة في نظره كملاكٍ حط فجأة بكل خصال الخير والنقاء منذ أول يوم عرفها فيه إلى هذه اللحظة، قال في نفسه:

-أهذا ما كنتِ تقصدينه (تزداد قيمة الحياة عندما نستشعر بأن هناك أناس يضحون من أجلنا)؟ هل ضحى أهلك بشيء لتقاتلي كل هذا القتال؟ أنتِ من معدنٍ مميز يا ضياء.

قطع تفكيره حين انتبه بأنها انتبهت لوجوده والتفتت إليه، احمر وجهه وارتبك حين تعلقت نظراتها به، ورغم بعدهما لمح الخجل على محياها برعشة خفيفة ظهرت في حركات يديها وهي تنهض بسرعة وتقول له بلهجة لم تخلُ من الارتباك وسألته:

-منذ متى وأنت هنا؟

أدرك لحظتها بأنها كانت تخشى أن يكون قد سمعها وهي تغني وتقفز الدرجات كالأطفال فخجلت، رعشتها الطفيفة تلك جعلتها كزهرة داعبها النسيم فتمايلت معه برقة ونثرت شيئاً من عبيرها برفقته، فلم يزدها الخجل إلا تألقاً أمام عينيه، زاد ارتباكه وتلعثم وهو يقول وقد نسي الساعة التي حول معصمه:

-منذ ... لا أدري ...ألم تنتهيا؟

تمالكت نفسها وقالت:

- نعم انتهينا.

امتعض وجه رُبا وأمسكت بعباءتها وهزتها وقالت في ضيق:

-لم نكمل اللعبة بعد.

انحنت لها وقالت هامسة في أذنها قائلة:

-عندما نكون بمفردنا سنلعب ما تريدين، أرجوك لا تحزني، ولنا لقاء في الغد إن شاء الله.

هزت رأسها مؤيدة، قبلتها ضياء ونزلتا لترتبان الأغراض بالحقيبة، ولما انتهت وجعلتها ترتدي حقيبتها، قالت لها:

- لا تنسي أن تعطي دفتر المتابعة لأمك.

- حسناً.

ظل يراقبها بصمت والاضطراب لا يزال يتخبط داخل نفسه، وحين اقتربت رُبا منه، قال لضياء:

-أعتذر منك لأني سأحضر رُبا صباح الغد إلى منزلكم، فلدي مهمة بعد الظهر إضافة إلى الامتحان.

رفعت ضياء حاجبيها في دهشة لكلمة (أعتذر)، لم يسبق له أن قالها لها لأي سبب مع أنه يخطئ بحقها إلا أنها تجاهلت دهشتها، وقالت له وهي تهز رأسها:

-حسناً، لا مانع لدي.

فقال في ابتسامة وبلهجة امتنان:

-أدركتُ الآن ماذا كنت تقصدين بقولك لي في ذلك اليوم، شكراً لجهودك يا ضياء، أنتِ تدركين قيمة هذه الحياة ولهذا تعرفين ما يتوجب عليك فعله، شكراً جزيلا لجهودك مع رُبا.

عاودتها الدهشة من جديد حتى أنها فتحت فاها لشدة حيرتها وهي تستمع لكلماتٍ لم يقلها لها من قبل، ولم تكن تحمل أية سخرية أو احتقار، حتى نظراته نحوها لم تكن تحمل أي غرور؛ بل كانت نظرات تقدير وامتنان وإعجاب، إنها المرة الأولى التي يصدر منه تصرفٌ كهذا.

أدرك حيرتها، أراد أن يقول شيئاً لكن الكلمات لم تسعفه وقد تراءى أمامه جبال إساءاته نحوها، كيف لا تندهش وهو يحدثها لأول مرة منذ أن عرفها بأسلوب مختلف؟ كيف سيستطيع تعليل تصرفاته نحوها الآن ويبدد حيرتها؟

شعر بشيء من تأنيب ضمير يخز قلبه، وتخبطت نفسه أكثر مما كانت، واجتاحه الحرج والألم معاً، قرر التراجع إلى أن يستطيع ضبط زمام مشاعره والتفكير في كل ما كان منه، ودعها وغادر القاعة برفقة رُبا، وتركها وحدها تعالج الحيرة، وبالفعل بقيت على ذهولها واقفة مكانها تتأملها حتى انصرفا وهي تشعر بشعور غريب لم تعهده، يعتذر ويشكر في آن واحد؟!

قالت في نفسها:

-ما بها نظرات طارق اليوم؟ بل ماذا في فكره؟ لا، ليس هذا طارق الذي أعرفه أبداً.

أزف الليل و لم يأزف، وأعلن للبشرية قدوم وقت الراحة إلا هو، لم يدرك ذلك ولم يشعر به، رغم أنه ارتدى ملابس نومه واسترخى جسده على السرير، إلا أن فكره لم يكن مرتاحاً أبداً. كان مستلقٍ على ظهره وقد تبعثرت حوله عدد من أوراق المحاضرات الخاصة بمادة الامتحان، وهو يمد ذراعه اليمنى قليلاً نحو الأعلى ويحمل إحداها ويقرأ فيها؛ لكن عقله بعيد كل البعد عن محتواها، ظل يشغله ما رأه من مناقب ضياء، كل ذلك أثار دهشته وحيرته وإعجابه، لم يفكر في منظر وجهها المشوه بل ما فيها تحمله بداخلها من شجاعة وإصرار نحو الهدف، إضافة إلى ما اكتشفه صباح اليوم؛ طيبة ورقة وصبر وحنان كبير أغدقت به رُبا

فأحبتها وتعلقت بها، لم يتخيل أبداً أن تؤثر خصالها في نفسه كل هذا التأثير، فعاد تأنيب الضمير يخز قلبه كلما تذكر إساءاته لها، ثم يجتاحه الغضب حين يتذكر إهانتها له وصفعتها في ذلك اليوم، كانت قوية بما يكفي لتقدم على تحديه، ليس هذا فحسب؛ بل استمرارها في دراستها رغم كل ما قام به ضدها، شعر بأن مشاعره نحوها مضطربة كأمواج البحر، بين الكره والإعجاب، تمتم وهو يخفض ذراعه ويضع المحاضرة جانبا وعيناه معلقتان بالسقف وفكره لا يزال يسترجع الأحداث:

-ما سبب كل هذا الصراع الذي دار بيننا؟... نعم تذكرت، وجهها المشوه، ورغم ذلك كانت شجاعة وجريئة؛ لكن... لو كان النصف المشوه مثل السليم، لكانت جميلة مشرقة الوجه، يا إلهي، هل أنا أمتدحها الآن أم أذمها؟ كيف سمحت لها بأن تنفذ لقلبي وعقلي هكذا؟ ماذا يحدث لي؟

-إلى متى سأنتظر هنا؟

نظر ناحية الباب فرأى رُبا واقفة وقد ارتدت بجامة نومها، فقال لها بحدة:

-لِم لم تقرعي الباب قبل دخولك؟

ردت في ضيق:

-قرعته ولكنك لم تجبني، لقد حان وقت العشاء..

جلس معتدلاً وهو يقول:

-رُبا، تعالي قليلاً.

دخلت رُبا وأشار لها بالجلوس، جلست إلى جواره على السرير، ثم سألها:

-هل سبق لك أن سألتِ ضياء عن إصابتها التي شوهت وجهها؟

أخذت تتذكر قليلا ثم قالت بحزن:

-نعم سألتها، قالت بأن الأعداء حين دمروا منزلها أصيبت هناك، إنهم أشرار.

طفى الحزن على وجهه وهو يتذكر تفاصيل الندبة، تلك المساحة المجعدة الداكنة التي احتلت بقعة في ذلك الوجه الجميل، لم تخلقها إلا زوبعة الحرب، أحرقتها كما أحرقت جمال عدن، تناهى في أذنيه أصوات القصف وهتافات المقاومين أحيانا وأحاديث المذيعين والمعلقين في نشرات الأخبار عن المعارك الشرسة قبل انتهاءها كلما مر بالصالة حيث يجد والده يستمع إليها ويشاهد تقاريرها عبر شاشة التلفاز، ثم تراءى أمام ناظريه وجوه النازحين الهاربين من ويلاتها إلى المكلا، والآلام والأحزان ترتسم على وجوههم، ومشقة الرحلة ترسم الإعياء على محياهم، ثم تذكر أحزان مدينته تحت وطأة الحصار الخانق قبل انجلائه، لم تسلم هي أيضاً من أصوات القصف وأزيز الرصاص وقتل صنوف الحياة فيها، خلال لحظات تجسدت أمامه كل معاناة الحرب التي صم أذنيه وأغمض عينيه عنها لسنوات طويلة، فقط ليقضي إجازته ويستمتع بها غير شاعرٍ بمأساة بلاده ولا حتى مدينته على الأقل.

لِم لم يكن يشعر بآلام الآخرين ولا حتى أنين من حوله؟

لِم تجمد شعوره عند ملذاته وإرضاء ذاته وحسب؟

لِم لم تعد مشاعر الإنسانية إلى روحه إلا الآن؟

كيف استطاعت تلك الندبة بتضاريسها أن تنقله إلى تضاريس الحرب؛ بل أن معاناة ضياء هي من نقلته إليها، لا شك في أنها قاست ألمها شهوراً، ثم قاست نظرات من حولها وألسنتهم، بل ربما ستقاسيها بقية عمرها، كان هو أول هؤلاء، قال في نفسه متألماً:

-المسكينة، كنتُ أنبذها لشيء حدث لها رغماً عنها، تحدث الجميع عنها بأبشع الحديث ونفروا منها لأنها ضحية حرب؟! ما أقسى قلوبنا، لقد تحجرت، ومع كل ما مرت به من محن لا تزال قوية وتعرف قيمة الحياة، وا أسفاه، لم أكن إلا إنساناً أنانياً.

في تلك اللحظة انتشلته عائشة من شروده وهي تدخل الغرفة، فرأتهما جالسين، صاحت بغضب:

-يا سلام يا رُبا، أعتقد بأني طلبتُ منكِ أن تحضري طارق ليتناول عشاءه، لا أن تجلسي قربه وتثرثري.

ردت رُبا مبررة موقفها:

-لقد كان يسألني عن ضيـ...

قطعت عبارتها حين أمسك بها فجأة وجذبها نحوه وهو يكمم فمها، ويقول لأمه في ارتباك:

- سألتُ رُبا قليلاً، سنأتي بعد لحظات.

ردت بنفاذ صبر:

-أسرعا فقط.

ثم خرجت، قالت رُبا بغضب وهي تقفز من سريره بعد أن أفلتت منه:

-لِم فعلت ذلك؟

رد في ضيق:

-ثرثارة كما عرفتك، لن تتغيري.

أخرجت لسانها وهي تقول له في تحدٍ:

-سأخبر ضياء بأنك سألتني عنها.

ارتبك لقولها فأراد أن يمسك بها؛ لكن أسرعت بالهرب والخروج من الغرفة، وحين نزل من سريره ليلحق بها، شعر بالصداع يدق رأسه من جديد، وقد أصابه بنوبة دوار قوية هذه المرة جعلته يسقط أرضاً جاثياً على ركبتيه، وهو يقول متألماً:

-يا إلهي، إلى متى سيستمر هذا؟

بقي على هذه الحالة مدة وهو يضع يده على رأسه، أطلت رُبا من عند الباب في حذر وهي مستغربة لعدم لحاقه بها، وحين رأته بتلك الحال بدا القلق عليها وهي تسأله:

-طارق، ماذا بك؟

انتبه لها فنهض متحاملا على نفسه وهو يقول:

-لا شيء، اذهبِي لتتناولي عشاءك، سأرتاح بعض الوقت، أخبري أمي.

- حسناً.

وحين خرجت أغلق باب الغرفة خلفها، ثم فتح درج طاولته وتناول دواء مسكناً وألقى بجسده على فراشه طلباً للنوم حتى يخف ألمه، وهو يقول في نفسه:

-لم أعد أحتمل نوبات هذا الصداع أبداً، سأذهب للطبيب غداً.

أما رُبا فقد أسرعت إلى والدتها وأخبرتها، نهضت عائشة لتتفقده، فوجدت باب غرفته مغلقاً، طرقت الباب وهي تقول في قلق:

-طارق، هل أنت على ما يرام؟

أجابها:

- نعم أمي، سأرتاح قليلاً ثم سأتناول عشاءي، لا تقلقي.

استغربت تصرفه لكنها ابتعدت عن الغرفة في حين استرخت أجفانه ونام من فوره.

*****